"القرية والمدينة في القرآن الكريم"
"دراسة في التفسير الموضوعي"

د. دعاء سميح عبد السلام.
مدرس بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية.
كلية التربية – جامعة عين شمس.

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ(القرية والمدينة في القرآن الكريم) مفردتين في القرآن ألا وهما: القرية والمدينة.

فقد قامت الباحثة باستقراء معاني ودلالات كل لفظة من المفردتين في النص القرآني، وذكر مواضع كل مفردة؛ لمعرفة المراد من كل لفظة ومدلولاتها المختلفة، وبيان السبب في استبدال المدينة بالقرية، والقرية بالمدينة في النص الواحد، معتمدة في ذلك على منهج التفسير الموضوعي، وقد خلصت الباحثة إلى عدة نتائج أثبتتها في خاتمة الدراسة.

المقدمة:

الحمد لله المحمود على كل حال، والذي بحمده يُستفتح كل أمر ذي بال، خالق الخلق لما شاء، وميسرهم على وفق علمه وإرادته لما سَرّ وساء، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا وشفيعنا محمد بن عبد الله، خاتم أنبيائه ورسله.

فإن خير ما يتدارسه المسلمون، ويُعني به الباحثون، دراسة القرآن الكريم وعلومه، وفهم معانيه وألفاظه، لذا تخيرت هذا البحث الذي عني بمفردتين من مفردات القرآن الكريم، ألا وهما: القرية والمدينة، إذ أردت من خلاله الغوص في معاني تلك المفردتين، وبيان المراد منها، وحصر مواضعها في القرآن، وبيان مدلول كل لفظة.

ولم أقف على بحث مستقل يجمع كلام أهل العلم في معاني القرية والمدينة في القرآن الكريم، ولمَ يعدِل القرآن عن لفظ قرية ويجعلها مدينة في ذات الوقت؟ في حين وقفت على بحث مستقل عن القرية فقط بعنوان: "مفهوم القرية ودلالاتها في القرآن الكريم" دراسة موضوعية، للباحث حازم حسني زيود، كلية الحقوق، الجامعة العربية الأمريكية.[١] وقد وقف الباحث على مدلولات لفظ القرية فقط ولم يتعرض لذكر المدينة، بل أوصى في نهاية بحثه الباحثين بتناول لفظ المدينة في القرآن، وقد قام الباحث باستقراء المعاني والدلالات المشتركة للفظ القرية في السور المكية والمدينة.

وقد قسم بحثه إلى مبحثين:

الأول: مفهوم القرية في اللغة والاصطلاح.

الثاني: دلالات مصطلح القرية في القرآن الكريم، وبيّن فيه الدلالات المشتركة لمصطلح القرية في السور المكية والمدنية.

وقد اتبعت في سبيل تحقيق هذا الهدف منهج التفسير الموضوعي وقسمت فيه البحث إلي تمهيد يعقبه ثلاثة مباحث يليه خاتمة، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها، وذلك على النحو التالي:

التمهيد وتناولت فيه:

(١) مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، مجلد ٢، العدد ٢، ٢٠١٦م.

القرية والمدينة لغة واصطلاحًا.

المبحث الأول: القرية في القرآن الكريم، مواضعها ودلالاتها ويتضمن:

أ) حصر جميع الآيات التي ورد فيها ذكر كلمة قرية المفرد النكرة، والمفرد المعرفة، والجمع النكرة والجمع المعرفة، وكلمة قرية مضافة إلى ضمير، أو المثنى المعرف؛ لسهولة الوقوف على دلالاتها عند أهل التفسير.

ب) بيان المقصود من لفظ القرية والمعنى المراد في السياق القرآني، ودلالة اللفظ في ذلك الموضع.

المبحث الثاني: المدينة في القرآن الكريم، مواضعها ودلالاتها ويتضمن:

أ) حصر جميع الآيات التي ورد فيها لفظ المدينة المفرد المعرفة، وكذلك الجمع لسهولة الوقوف على دلالاتها.

ب) بيان المقصود بالمدينة في مواضع الذكر، والمصر المراد بها، ودلالة استخدام لفظ المدينة.

المبحث الثالث: القرية بمعنى المدينة والمدينة بمعني القرية و يتضمن:

أ) السور التي جاء فيها القرية والمدينة بمعنى واحد.

ب) لِمَ يعبر عن القرية بالمدينة، والمدينة بالقرية في السورة ذاتها؟

أخيرًا: خاتمة وتشتمل على:

أ) أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

تمهيد: القرية لغة واصطلاحًا:

القرية لغة: كما جاءت في كتاب العين للخليل بن أحمد (ت: ١٧٠هـ) من القَرْو، وهو كل شيء على طريقة واحدة. [١]

(١) كتاب العين: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، ٢٠٣/٥، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

وجاء في المحكم لابن سيده (ت: ٤٥٨هـ) أن القرية من قَرى الماء في الحوض قريًا، والمقرأة: الحوض العظيم يجتمع فيه الماء، والجمع قُرى[١]، وعند ابن منظور(ت ٧١١هـ) القَرْو والقَرى: كل شيء على طريق واحد، يقال: رأيت القوم على قرو واحد أي: على طريقة واحدة[٢]، وذكر القمى النيسابوري (ت ٧٢٨هـ) نحوًا من ذلك من أنها: مجتمع الناس، من قرأت الماء في الحوض أي: جمعته[٣].

وفي الاصطلاح جاء في المعجم الوسيط أن القرية: هي المصر الجامع، وكل مكان اتصلت به أبنيته، واتُخِذ قرارًا[٤].

وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة أن القرية: مفرد قَرْيات وقرى، وهو تجمع سكني في منطقة ريفية أصغر من المدينة، بلدة صغيرة، ضيعة، وكذلك هي كل مكان اتصلت به الأبنية واتُخِذ قرارًا، وتقع على المدن[٥].

وعلى هذا يمكن القول أن القرية تعني: المكان الذي يعيش فيه مجتمع قليل من الناس في منازل ذات أبنية، وهي أصغر حجمًا من المدينة.

وثمت اختلاف بين القرية والكورة والمصر، فجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) أن الكورة: اسم فارسي بحت، يقع على قسم من أقسام الأستان[٦]، وقد استعارتها العرب وجعلتها اسمًا للأستان، فالكورة والأستان واحد، والكورة: كل صُقْع يشتمل على عدة قرى، ولابد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها[٧].

---

(١) المحكم والمحيط الأعظم: أبي الحسن على بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الرحمن هنداوي، ٤٩٧/٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

(٢) لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور، ١٧٥/١٥، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤ه.

(٣) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين القمي النيسابوري، تحقيق: زكريا عمران، ٢٩٣/١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

(٤) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ٧٣٢/٢، باب القاف، دار الدعوة، د.ت.

(٥) معجم اللغة العربية المعاصرة: أحمد مختار عبد الحميد، ١٨٠٨/٣، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ.

(٦) الأستان: هوم أربع كور، والكورة مدينة كبيرة، انظر: كنز الدرر وجامع الغرر: أبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدواداري، تحقيق: إدوارد بدين، ٢٦٣/٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٧) معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي، ٣٦/١، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

أما المصر: "فيجئ في قولهم مُصِّرت مدينة كذا في زمن كذا، وقولهم: كذا مصر من الأمصار، والمصر في الأصل: الحد بين الشيئين، واشترى فلان من فلان هذه الدار بمصورها أي بحدودها"[١].

والمدينة عند ابن سيده (ت: ٤٥٨هـ) في المحكم وابن منظور (ت: ٧١١هـ) في اللسان، والزبيدى (ت: ١٢٠٥هـ) في تاج العروس أنها: الحصن يبنى في أصطُمّة[*] الأرض، والجمع، مدائن ومدن[٢]، فكل أرض يبني بها حصن في أُصطُمتها فهي مدينة، والنسبة إليها مديني[٣].

وفي مختار الصحاح للرازي (ت: ٦٦٠هـ) مَدَن بالمكان: أقام به، وقيل: هي من دنيت أي: ملكت[٤].

وفي عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (ت: ٧٥٦هـ) أن المدينة: تلك البلدة التي كثر سكانها، مَدن بالمكان: إذا أقام، ووزنها فعيلة[٥].

في المصباح المنير أن المدينة: المصر الجامع، ووزنها فعيلة؛ لأنها من مَدَن، وقيل: مَفْعلة بفتح الميم؛ لأنها من دان[٦].

وفي معجم اللغة تمدين الشخص أي: عاش عيشة أهل المدن وأخذ بأسباب الحضارة[٧]، والمدينة: هي الجانب المادي من الحضارة كالعمران، ووسائل الاتصال والترفيه، يقابلها الجانب الفكري والروحي والخلقي من الحضارة[٨].

---

(١) المصدر السابق نفسه: ٣٨/١.
(*) أُصْطُمّة: مجتمعه ووسطه، انظر كتاب العين: ٢٢١/٧.
(٢) المحكم والمحيط الأعظم: ٣٥٨/٩، لسان العرب: ٤٠٢/١٣.
(٣) لسان العرب: ٤٠٢/١٣، تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي، ١٥٦/٣٦، دار الهداية، د.ت.
(٤) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، ص ٦٤٢، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م. ١٩٩٥م.
(٥) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: أبي العباس أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل، ٧٩/٤، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
(٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن على الفيومي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، ٤١٠/١، دار المعارف، ط٢، ط٢، د.ت.
(٧) معجم اللغة العربية المعاصرة: ٢٠٧٩/٣، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
(٨) المصدر السابق نفسه: ٢٠٨٠/٣.

وعلى هذا يمكن القول أن المدينة هي تلك البقعة الواسعة من الأرض، والمقام عليها، والآخذة بأسباب الحضارة والرفاهية.

المبحث الأول: القرية في القرآن مواضعها ودلالاتها:

وقد وردت كلمة قرية باختلاف أشكالها من الإفراد والتثنية والجمع، وكذلك التعريف والتنكير في القرآن الكريم سبعًا وخمسين مرة، ما بين (قرية – القرية – قرى – القرى – القريتين – قريتك)، أقل من نصفها معرفًا بـ (ال)، والباقي جاء بصيغة النكرة، بداية من سورة البقرة حتى سورة الحشر، وتفصيلها كالآتي:

*** مواضع ذكر القرآن للفظ "القرية" (مفرد معرفة):**

١) **﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ... الآية﴾** البقرة ٥٨.

٢) **﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا....﴾** النساء ٧٥.

٣) **﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾** الأعراف ١٦١.

٤) **﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ... ﴾** الأعراف ١٦٣.

٥) **﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ... ﴾** يوسف ٨٢.

٦) **﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾** الأنبياء ٧٤.

٧) **﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾** الفرقان ٤٠.

٨) **﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ العنكبوت ٣١.**

٩) ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ العنكبوت ٣٤

١٠) ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ يس ١٣

* مواضع ذكر القرآن للفظ "قرية" مفرد نكرة:

١) ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا .... ﴾ البقرة ٢٥٩

٢) ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ الأنعام ١٢٣.

٣) ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ الأعراف ٤

٤) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ﴾ الأعراف ٩٤

٥) ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ يونس ٩٨

٦) ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ الحجر ٤.

٧) ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ ... الآية﴾ النحل ١١٢

٨) ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ الإسراء ١٦

٩) ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ الإسراء ٥٨

١٠) ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ... الآية﴾ الكهف ٧٧

١١) ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ الأنبياء ٦

١٢) ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ الأنبياء١١

١٣) ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ الأنبياء ٩٥

١٤) ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾ الحج ٤٥

١٥) ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ الحج٤٨

١٦) ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ الفرقان ٥١

١٧) ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ الشعراء ٢٠٨

١٨) ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ النمل ٣٤

١٩) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ القصص ٥٨

٢٠) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ سبأ ٣٤

٢١) ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ الزخرف ٢٣

٢٢) ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ محمد ١٣

٢٣) ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا﴾ الطلاق ٨

*** مواضع ذكر القرآن للفظ "القرى" جمع معرفة:**

١) ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ .... ﴾ الأنعام ٩٢

٢) ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ الأنعام ١٣١

٣) ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ الأعراف ٩٦

٤) ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ الأعراف ٩٧

٥) ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأعراف ٩٨

٦) ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ...﴾ الأعراف ١٠١

٧) ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ﴾ هود ١٠٠

٨) ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ هود ١٠٢

٩) ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ هود ١١٧

١٠) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ... ﴾ يوسف ١٠٩

١١) ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾ الكهف ٥٩

١٢) ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ القصص٥٩

١٣) ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ سبأ ١٨

١٤) ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ... ﴾ الشورى ٧

١٥) ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ ... ﴾ الأحقاف ٢٧

١٦) ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾ الحشر ٧

*** مواضع ذكر القرآن للفظ "قرى" جمع نكرة:**

١) ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ سبأ ١٨

٢) ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ... ﴾ الحشر ١٤

*** مواضع ذكر لفظ "قرية" مضافة إلى ضمير:**

١) ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ الأعراف ٨٢

٢) ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آَلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ النمل ٥٦

٣) ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا... ﴾ الأعراف ٨٨

٤) ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ محمد١٣

*** على حين ورد لفظ "قرية" بالمثنى المعرف بـ (الـ) مرة واحدة في قوله تعالى:**

١) ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الزخرف٣١

دلالات القرية في القرآن:

فقد وردت لفظة قرية أول مرة في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ**﴾ البقرة ٥٨

وقد روي مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) وآخرون أن المقصود بالقرية في هذه الآية: باب إيلياء، وذلك أن بني إسرائيل خرجوا مع يوشع بن نون من أرض التيه من العمران حِيال أريحا، وكانوا قد أصابوا خطيئة، فأراد الله – ρ – أن يغفر لهم، وكانت الخطيئة أن موسى υ أمرهم أن يدخلوا أرض أريحا التي فيها الجبارون؛ فلهذا قال لهم: قولوا حطة يعني: حط عنا خطايانا[١].

وقيل: هي بيت المقدس[٢].

وتلك القرية اتفق أهلها جميعًا في صفة خِلقية واحدة حتى أصبحت علمًا عليهم يُعرفون بها، يؤكد هذا ما جاء في سورة المائدة على لسان موسى مخاطبًا قومه: ﴿**يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ**﴾ المائدة ٢١–٢٢

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان بن بشير، تحقيق: أحمد فريد، ٥١/١، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣، تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل: علاء الدين أبي الحسن، تحقيق: محمد علي شاهين، ٢٢/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق أسعد محمد الطيب، ١١٦/١، ط١، المكتبة العصرية، صيدا، صيدا، د.ت، الدر المنثور: جلال الدين السيوطي، ٣٧٦/١، مركز هجر للبحوث، مصر، ١٤٢٤ه، ٢٠٠٣م.

وروي السمعاني (ت : ٤٨٩هـ) وغيره أنها أريحا، وهي قرية الجبارين، وكان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة، ورأسهم (عَوْج بن عِنَاقَ)، فنكص بنو إسرائيل عنها، وقالوا: يا موسى إن فيها قومًا جبارين[١]﴿**يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ**﴾.

فهذه القرية هي أرض الجبارين، فأبى بنو إسرائيل أن يدخلوا عليهم، وقالوا: ﴿**يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ**﴾ فلما لم يدخلوا كتب الله عليهم التيه أربعين عاماً، وجاء جيل جديد قاده يوشع بن نون، فتح المدينة بهم ودخلها، لكنهم بدلوا، ولم يدخلوا على الهيئة التي أمُروا بها، وقالوا قولاً غير الذي أمروا به[٢].

وقد أطلق على أهل هذه القرية الجبارون؛ لأنهم اتصفوا بأنهم قتالون أشداء، يقتل الرجل منهم العصابة[٣]، بينما يرى القرطبي (ت ٦٧١هـ) أن سبب تسميتهم بالجبارين أنهم عظام الأجسام طوال، فيقال: نخلة جبارة أي: طويلة، والجبار: المتعظم الممتنع من الذل والفقر[٤].

ثم وردت في سورة النساء فقال تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا...** ﴾ النساء ٧٥

والمقصود بالقرية هنا مكة المكرمة كما ورد عند الطبري (ت:٣١٠هـ) وابن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ) والسيوطي (ت:٩١١هـ) عن عائشة[٥]، وذلك أن الله يوجه خطابه للمؤمنين قائلاً: "ما لكم أيها المؤمنون لا تقاتلون في سبيلي وفي المستضعفين منكم من الرجال والنساء والولدان، فأما من الرجال فإنهم كانوا قد أسلموا بمكة فغلبتهم عشائرهم على أنفسهم بالقهر لهم، وآذوهم ونالوهم بالعذاب والمكاره

(١)تفسير القرآن: أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم عباس، ٨٣/١، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، الكشف والبيان في تفسير القرآن: أحمد بن إبراهيم الثعلبي، ٢٠١/١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٩٠/١.

(٣) المصدر السابق نفسه. ٢٩١/١

(٤) الجامع لأحكام القرآن: أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، ١٢٦/٦، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

(٥) جامع البيان في تفسير آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ٢٢٤/٧، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ه، - ٢٠٠٠م، وتفسير ابن أبي حاتم: ١٠٠٢/٣، الدر المنثور: ٥٣٦/٤.

في أبدانهم، ليفتنوهم عن دينهم، فحض الله المؤمنين على استنقاذهم من أيدي مَن قد غلبهم على أنفسهم من الكفار "[١].

وقد أطلق على مكة المكرمة القرية الظالم أهلها؛ لأن أهلها كانوا مشركين، وكما جاء في معالم التنزيل: القرية الظالم أهلها أي: "المشرك أهلها يعني القرية التي من صفاتها أن أهلها مشركون، وإنما خفض الظالم لأنه نعت للأهل، فلما عاد الأهل إلى القرية صار كأن الفعل لها"[٢].

فقد أجمع المفسرون على أن المراد من هذه القرية: مكة، وكون أهلها موصوفين بالظلم يحتمل لأنهم كانوا مشركين، فقد قال تعالى: ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾، أو أن يكون لأجل أنهم كانوا يؤذون المسلمين ويوصلون إليهم أنواع المكاره[٣].

فمكة حقًا أفضل البلاد على الإطلاق، وأحب الأرض إلى الله وإلى رسوله بنص كلام النبي ρ فقد روي أحمد (ت ٢٤١هـ) في مسنده والترمذي (ت ٢٧٩هـ) والنسائي (ت ٣٠٣هـ) في سننيهما، والحاكم (ت ٤٠٥هـ) في مستدركه، واللفظ لأحمد أن النبي قال وهو واقف بالحَزْوِرَة في سوق مكة: "والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله Y، ولولا أني أُخرجت منك ما خرجت"[٤].

فمكة وإن كانت في نفسها لها فضيلة، إلا أن أهلها يظلمون الناس ويقفون بينهم وبين دين الله، ثم يحولون بينهم وبين شرع الله، فكل قرية أهلها ظالمون ينسحب عليها حكم الله ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ**﴾ النحل ١١٢.

ويلحق بالآية ذاتها آيات أخرى، ففي سورة الأنعام في قوله تعالى: ﴿**وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ...** ﴾ الأنعام ٩٢

---

(١) جامع البيان: ٢٢٤/٧.

(٢) معالم التنزيل: أبي محمد الحسين مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، ٢٥٠/٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

(٣) مفاتيح الغيب: محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، ١٤١/١٠، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

(٤) المسند: أحمد بن حنبل، تحقيق السيد أبو المعاطي، ٣٠٥/٤، حديث ٥١٨٧، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨، سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ٧٢٢/٥، دار إحياء التراث العربي بيروت، د.ت، السنن الكبرى: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان، ٤٧٩/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، المستدرك على الصحيحين: الحاكم النسيابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر، ٨/٣، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

وكذلك في سورة الشورى في قوله ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ...** ﴾ الشورى ٧.

وفي الزخرف في قوله: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾ الزخرف ٣

فقد جاءت في سورة الأنعام وسورة الشورى بصيغة الجمع، فقال "أم القرى"

وجاءت في سورة الزخرف بصيغة المثنى، والمقصود بأم القرى: مكة المكرمة كما جاء عند جل المفسرين(١)، والمقصود بالقريتين مكة والطائف(٢)

وسميت مكة بأم القرى لأنها أصل القرى وقد دُحيت الأرض من تحتها، ويقال: لأنها أعظم القرى شأنًا، وقيل: لأنها قبلة تؤمها الناس بالصلوات إليها(٣).

أما سورة الأعراف فقد حفلت بذكر لفظ القرية بشتى صيغها المفرد والجمع والتنكير والتعريف، فقد تكررت عشر مرات.

فقال تعالى: ﴿**وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ**﴾ الأعراف ٤

وقال: ﴿**وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**﴾ الأعراف ٨٢

وقال: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ**﴾ الأعراف ٨٨

وقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**﴾ الأعراف ٩٤

وقال: ﴿**أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ**﴾ الأعراف ٩٧

(١) جامع البيان: ٥٣١/١١، تفسير القرطبي: ٦/١٦، تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي: ٧٥٢/١، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٨٢/١٠، جامع البيان: ٥٩٣/٢١، الجامع لأحكام آي القرآن: ٨٣/١٦.

(٣) الجامع لأحكام القرآن: ٦/١٦، المحرر الوجيز: ٤٤٤/٢.

وقال: ﴿أَوَ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ الأعراف ٩٨

وفي قوله: **﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾** الأعراف١٠١

وفي قوله: **﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾** الأعراف ١٦١

وفي قوله: **﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾** الأعراف ١٦٣

ومجمل آيات سورة الأعراف دالة على ظلم تلك القرى، وطغيان أهلها ففي الآيات ٤، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠١ كلها آيات عامة تدل على اتصاف أهل القرى بالظلم وعدم الإيمان والطغيان والاستكبار فتلك القرى ظالمة فاسقة؛ لذا ظلمت نفسها بالكفر فحق عليها العذاب، فقال تعالى: **﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾** الأعراف ١٠١

وضرب الله أمثلة في السورة ذاتها لتلك القرى الظالمة الكافرة بأنعم الله فذكر قرية سدوم: قرية سيدنا لوط، فقال تعالى: **﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ & إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ & وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ & فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ & وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾** الأعراف ٨٠-٨٤

وتلحق بالآية ذاتها آيات في سور أخرى كما في قوله **﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ﴾** الأنبياء ٧٤

وكذلك ما جاء في سورة العنكبوت **﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ & قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ & وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ**

وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ & إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ العنكبوت ٣١-٣٤

وكذلك ما جاء في الفرقان في قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾** الفرقان ٤٠

والقرية المقصودة هي قرية سدوم قرية لوط[١]، وتلك القرية اتفق أهلها جميعًا إلا بعض مَن آمن للوط على فعل الخبائث، وهذه الخبائث كما ذكرها المفسرون: إتيان الذكران من أدبارهم، وخَذْفهم الناس، وتضارطهم في أنديتهم، مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكر[٢].

فأخرج الله لوطًا ومَن آمن معه وأنجاهم من العذاب الذي حل بأهل هذه القرية، فأنزل الله عليهم مطر السوء، وهي حجارة عظيمة على قدر كل إنسان فأهلكوا بها[٣].

وفي قوله: **﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾** والمقصود بالقرية: أهل القرية؛ لأنهم هم الذين يعملون الخبائث دون نفس القرية.

فقد أطلق لفظ القرية ولم يرد المعنى الحقيقي فقط، وهو ما أشار إليه النحويون في باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى، ففي قوله **﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾** الأنبياء ٧٤، وأيضًا في قوله: **﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾** يوسف ٨٢، يقول سيبويه (ت ١٨٠هـ): "هذا مما جاء في اتساع الكلام والاختصار وإنما يريد أهل القرية، فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان ها هنا"[٤].

وكأن القرية جميعها أهلاً وجدرانًا شاركت في الذنب والمعصية، وكانت تعمل الخبائث.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٧/٢، تفسير ابن أبي حاتم: ٢٦٩٨/٨، ٣٠٥٥/٩، جامع البيان: ٢٧٢/١٩، مفاتيح الغيب: ٤٦١/٢٤، ٥٠/٢٥، الكشاف مذيلاً بحاشية ابن المنير: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ٢٨١/٣، ٤٥٢/٣، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٢) جامع البيان: ٤٧٢/١٨، الجامع لأحكام القرآن: ٣٠٦/١١.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٣٨/٢، تفسير بن أبي حاتم: ٢٦٩/٨، مفاتيح الغيب: ٤٦١/٢٤.

(٤) الكتاب: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ١٧٤/١٥، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت، المحيط والمحكم الأعظم: ٤٩٦/٦.

وقد ضرب الله مثالاً آخر في السورة ذاتها لقرية أصحاب السبت، الذين ظلموا أنفسهم بعصيانهم لأمر ربهم، فقال تعالى: ﴿**وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ...** ﴾ الأعراف ١٦٣.

وهذه القرية تقع على ساحل بحر القُلزُم[١] مما يلي الشام، وكانت مدينة جليلة في عهد داود υ ، وتسمى أَيلْة[٢].

وأيلة هذه مدينة صغيرة عامرة، بها زرع يسير، وهي مدينة اليهود الذين حُرم عليهم صيد السبت، وجُعل منهم القردة والخنازير[٣].

وقد روي الطبري (ت ٣١٠هـ) عن طريق ابن جُريج عن عكرمة عن ابن عباس أنها أيلة[٤].

وهذه القرية كانت تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرعًا من كل مكان، ويوم لا يسبتون لا تأتيهم، فإنهم أرادوا أن يأخذوا من هذه الحيتان يوم تجئ ما يكفيهم فيما سوى ذلك من الأيام، فوعظهم قوم مؤمنون، ونهوهم وقالت طائفة من المؤمنين، إن هؤلاء قوم قد هموا بأمر ليسوا بمنتهين دونه، والله مخزيهم ومعذبهم عذابًا شديدًا، وإنما نعظهم: ﴿**مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾ الأعراف ١٦٤[٥].

وذكر البغوي (ت ٥١٠هـ) أنهم اتخذوا حيضًا على شاطئ البحر يسوقون الحيتان إليها يوم السبت، ثم يأخذونها يوم الأحد، واستمر ذلك زمانًا، ثم تجرأوا على السبت، وعللوا لأنفسهم هذا التجرؤ فأخذوا يأكلون ويبيعون، فصار أهلها أثلاثًا، وكانوا نحوًا من سبعين ألفًا، ثلث نهوا، وثلث لم ينهوا أو سكتوا، وثلث هم أصحاب الخطيئة، فلما لم ينتهوا، قال الناهون: لا نساكنكم في قرية واحدة، فقسموا القرية بجذر، للمسلمين باب، وللمعتدين باب[٦].

فلما اعتدوا مسخهم الله قردة، فأصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج مِن المعتدين أحد، فقالوا: إن لهم شأنًا لعل الخمر غلبتهم؛ فعلوا الجدار فإذا هم قردة، فعرفت القرود أنسابها من

(١) بحر القلزم: البحر الأحمر.
(٢) آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، ٦٠/١، دار صادر، د.ت، معجم البلدان: ٢٩٢/١.
(٣) المسالك والممالك: أبي إسحاق إبراهيم الاصطخري المعرف بالكرخي، ١٤/١، دار صادر، د.ت.
(٤) جامع البيان في تأويل آي القرآن: ٦٣/٢.
(٥) جامع البيان: ٥١٣/١٠.
(٦) معالم التنزيل: ٢٩٣/٣.

الإنسان، فجعلت القرود يأتيها بنسيبها من الإنسان، فتشم ثيابه وتبكي، فيقول: ألم ننهكم؟ فتقول برأسها: نعم، فما نجا إلا الذين نهوا، وهلك سائرهم[١].

فالقرية التي حق عليها غضب الله تلك التي سكنها المعتدون؛ لأن أهل الإيمان انفصلوا عنهم، إضافة إلى الساكتين عن الحق الذين لم ينهوا هؤلاء المعتدين فصاروا مثلهم معتدين؛ لعدم نصرتهم لأهل الحق وسكوتهم عن المعتدين.

وأما ما جاء في سورة يوسف، فقد أشار إليه الزركشي (ت ٧٩٤هـ) وكذلك صديق خان (ت ١٣٠٧هـ) في تفسيريهما، أن تأويل الآية: قولوا لأبيكم يسأل القرية أي: المصر، والمراد: أهلها، وقيل: واسأل القرية نفسها، وإن كانت جمادًا فإنك نبي الله، والله سوف ينطقها، فتجيبك[٢].

ووردت في سورة "يس" وأريد بها: أنطاكية في قوله تعالى: ﴿**وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ & إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ & قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ**﴾ يس ١٣-١٥

روي مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ)، وابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، والسيوطي (ت ٩١١هـ) جميعًا عن ابن عباس، وعن بُريدة، وعن عكرمة أيضًا أن المقصود بالقرية: أنطاكية، وهي قرية من قرى الروم، بعث عيسى ابن مريم إليها برجلين يدعوهم لعبادة الله؛ فكذبوهما[٣].

فقد أمر الله النبي بإنذار قومه من المشركين، بأن ما يحل بهم حل بكفار أهل القرية المبعوث إليها ثلاثة رسل، وقيل عن هؤلاء الرسل: أنهم رسل من الله على الابتداء، وقيل: إن عيسى بعثهم إلى أنطاكية للدعاء لله؛ فضربوهما وسجنوهما؛ فعززهما الله بثالث، أي: فقواهم وشدّ الرسالة بثالث[٤].

وقد دلت الآية على اشتراك القرية جميعًا في تكذيب الرسل والكفر بهم، حتى بعد أن أكد لهم الرسل بأنهم مرسلون من عند الله، ففي بادئ الأمر عرض الرسولان أنفسهما على أصحاب القرية،

(١) المصدر السابق نفسه ٢٩٤/٣.
(٢) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، ١٤٨/٣، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧، فتح البيان في مقاصد القرآن: أبي الطيب محمد صديق خان، ٣٨٤/٦، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٨٣/٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٣١٩١/١٠، الدور المنثور: ٣٣٥/١٢.
(٤) الجامع لأحكام القرآن: ١٤/١٥.

وأبلغوهم أنهما رسولان يبلغان تعاليم الدين، فكان البيان من قبيل الإخبار الأولى غير المقرون بمؤكدات على هذا، فلما كذبهما القوم، عززهما الله برسول ثالث مؤكدًا لهما، فقالوا لهم: ﴿**إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ**﴾ فجاء التأكيد بمؤكدين (إن والجملة الاسمية)، فلما أصر القوم على كفرهم وعنادهم وتكذيب رسل ربهم الثلاثة، زاد الرسل التأكيد فقالوا: ﴿**رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ**﴾، ومع ذلك اتفقوا جميعًا على الكفر بهم ومعاداتهم.

مما سبق يمكن القول أن دلالات لفظ القرية في القرآن الكريم تختلف من موضع لآخر طبقًا للسياق القرآني كما يلي:

١) أوردها الله في سورة البقرة وأراد بها إيلياء، أو بيت المقدس، وبيّن لنا اشتراك أهل القرية في صفة خلقية واحدة، حتى صارت علمًا عليهم.

٢) في حين جاءت في سورة النساء والأنعام وقُصد بها مكة المكرمة الظالم أهلها بشركهم وظلمهم للمؤمنين.

٣) في حين وردت في سورة الأعراف عشر مرات لتدل جلها على طغيان أهلها وكفرهم وما وقع من قرية سدوم، وما وقع من أصحاب السبت.

٤) وجاءت في سورة الأنبياء ويوسف لتدل على سكان القرية لا القرية ذاتها.

٥) وردت في سورة يس، والمراد بها: أنطاكية تلك القرية التي ظلمت نفسها بمعاداتهم لرسل الله وقتلهم.

٦) وجاءت في سورة الزخرف بصيغة المثنى لتدل على مكة المكرمة، ومدينة رسول الله ρ.

المبحث الثاني: المدينة في القرآن، مواضعها ودلالاتها:

وقد وردت كلمة المدينة في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، أربع عشرة بصيغة المفرد، وثلاث بصيغة الجمع، وكلها معرفة بـ "ال"، ولم تأت في أية موضع على صورة النكرة، وهذا دليل أنها تفيد تخصيص بقعة معينة بذاتها.

ولفظ المدينة أو المدائن أطلق أربع مرات على المدينة المنورة، وثمان لمصر، وأطلق على القرية وصف المدينة مرتين(*)، مرة في قصة لوط، ومرة في سورة الكهف(١).

مواضع لفظ المدينة المفرد المعرف بـ "الـ"

١) قال تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ الأعراف ١٢٣.

٢) ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ...** ﴾ التوبة ١٠١.

٣) ﴿**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ...** ﴾ التوبة ١٢٠.

٤) ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ**﴾ **يوسف ٣٠.**

٥) ﴿**وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ الحجر ٦٧.

٦) ﴿**... فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ ...** الكهف ١٩.

٧) ﴿**وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ...** ﴾ الكهف ٨٢.

٨) ﴿**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾ **النمل ٤٨.**

٩) ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ...** ﴾ القصص ١٥.

١٠) ﴿**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ...** ﴾ القصص ١٨.

(*) وقد وجدت موضعاً ثالثاً في سورة يس، عند الحديث عن مؤمن آل يس.
(١) عجائب القرآن الكريم: زياد السلوادي، المكتبة الوقفية، الشبكة العنكبوتية.

١١) ﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ القصص ٢٠.

١٢) ﴿**لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**﴾ الأحزاب ٦٠.

١٣) ﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**﴾ يس ٢٠.

١٤) ﴿**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ...**﴾ المنافقون٨.

وجاءت بصيغة الجمع المعرف ثلاث مرات ومواضعها:

١) في قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ...** ﴾ الأعراف ١١١.

٢) وفي قوله تعالى: ﴿**قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ...** ﴾ الشعراء ٣٦.

٣) وفي قوله تعالى: ﴿**فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ**﴾ الشعراء ٥٣.

وجاء أول ذكر للمدينة بصيغة الجمع في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿**قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ & يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ & قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ**﴾ الأعراف ١٠٩-١١١.

وجاءت بصيغة المفرد في السورة ذاتها في قوله تعالى: ﴿**قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ الأعراف ١٢٣.

والمقصود بالمدينة هنا: مصر، وجاءت معرفة بـ (ال) عوضًا عن ضمير والمقصود: مدينتكم، ذكر مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) أن هذا الإيمان من السحرة لقول قلتموه في المدينة، ويعني أهل مصر[١].

وجاء في تفسير ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧هـ)، والقرطبي (ت ٦٧١هـ) والسيوطي (ت ٩١١هـ) في قول فرعون للسحرة إن هذا مكر مكرتموه أي: جرت بينكم وبينه – يقصد موسى – مواطأة في هذا لتستولوا على مصر، أي كان هذا الاتفاق منكم في مدينة مصر قبل أن تبرزوا إلى هذه الصحراء[٢].

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٠٨/١.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٥١٣٧/٥، الجامع لأحكام القرآن: ٢٦٠/٧، الدر المنثور: ٥٠٠/٦.

وقد دلت الآيتان السابقتان على أن أهل المدينة والمدائن كلهم أهل حضارة، فلما أراد فرعون أن يتحدى موسى لجأ إلى أهل المدائن لما يتميزون به من ترف وحضارة ورفاهية.

وجاء في سورة يوسف الحديث عن مصر أيضًا وعبر عنها بالمدينة للغرض ذاته، وإثبات أن المدن أصحاب رفاهية وحضارة.

ففي قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾ يوسف ٣٠.

والمقصود بالمدينة: مصر كما جاء عند الطبري (ت ٣١٠هـ)، والقرطبي (ت٦٧١هـ) [١] في حين يرى الماوردي (ت٤٥٠هـ) أن هذه المدينة يُراد بها: إما مصر، وإما عين شمس[٢].

وقد ذكّر الفعل فقال: ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ**﴾ لقلة النسوة [٣]، والنُّسْوة والنِّسْوة، والنُّسْوان والنِّسْوان جمع المرأة على غير لفظه، والنِّسْوان والنِّساء جمع نِسْوة[٤] وفي تفسير المنار أن لفظ النسوة: جمع قلة للمرأة من غير مادة لفظها، ولم يبين لنا التنزيل عددهن ولا أسماءهن ولا صفاتهن؛ لأن الفائدة في العبرة محصورة في أن عملهن عمل جماعة قليلة يُعهد في العرف ائتمارُهن واتفاقهن على الاشتراك في مثل هذا المكر المنكر، في مدينة كبيرة كعاصمة مصر، التي بلغت منتهى في الحضارة، وما تقتضيه من التمتع بالشهوات والزينة[٥].

وقيل في قوله: ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾: صفة لنسوة والمقصود من ذكر هذه الصفة أنهن كن متفرقات في ديار المدينة، وهذه المدينة هي قاعدة مصر السفلى، وهي مدينة منفيس حيث كان قصر العزيز، فنقل الخبر في بيوت المتصلين ببيت العزيز[٦].

---

(١) جامع البيان: ١١٤/١٣، الجامع لأحكام القرآن: ١٧٦/٩.

(٢) تفسير الماوردي "النكت والعيون": أبي الحسن على بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، ٣٠/٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

(٣)معاني القرآن: أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: احمد يوسف نجاتي وآخرون، ٤٣٥/١، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د.ت.

(٤)المحكم والمحيط الأعظم: ٦١٥/٨

(٥) تفسير المنار: محمد رشيد بن على رضا، ٢٤٠/١٢، الهئية المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٠م.

(٦) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن الطاهر بن عاشور ٥٣/١٢، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

وتلك التفسيرات دالة على صفة أخرى من صفات أهل المدينة أنهم ليسوا جميعًا على قلب واحد، بل يتميزون بالانفرادية، وتفكك الروابط بين من يعيشون فيها، واختلاف طباعهم وعاداتهم، وطرقهم، إضافة إلى ما حظيت به من أسباب الحضارة والتطور والرفاهية.

في حين أنها وردت في سورة التوبة وقُصد بها المدينة المنورة في قوله تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ**﴾ التوبة ١٠١.

فالمدينة: مدينة رسول الله ρ المدينة المنورة، وجاءت معرفة بـ (ال) هنا للغلبة، فقد غلب إطلاق لفظ المدينة على مدينة رسول الله ρ فالقوم حول المدينة من الأعراب منافقون، ومن أهل المدينة أيضًا أمثالهم(١)، والمقصود بمن حولهم من الأعراب: مُزينة وجُهينة وأَسْلم وغِفَار وأَشْجع، ومِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ أي: قوم مردوا على النفاق من أهل المدينة كذلك(٢).

ويرى صاحب التحرير والتنوير أن المدن أقرب في قبول الخير من أهل القرى؛ لبساطة طباعهم، فإذا سمعوا الخير تقبلوه، بخلاف أهل القرى، فإنهم لتشبثهم بعاداتهم وما ألفوه ينفرون من كل ما يغير تلك العادات، ولهذا قال تعالى: ﴿**وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ**﴾ فجعل النفاق في الأعراب نفاقًا مجردًا، والنفاقُ في أهل المدينة نفاقٌ ماردٌ(٣).

فهؤلاء الأعراب الذين حول المدينة قد خلصوا للنبي وأطاعوه وهم: جُهَيْنة وأَسْلَم وأَشْجَع ولِحْيان وعُصَيَّة، فأعلم الله نبيه أن في هؤلاء منافقين لئلا يغتر بكل من يُظهر له المودة، وكانت المدينة قد خلص أهلها للنبي وأطاعوه، فأعلمه الله أن فيهم بقية مردوا على النفاق، لأنه تأصيل فيهم من وقت دخول الإسلام بينهم(٤).

وهذا النفاق الذي ظهر في المدينة دليل على تمكن الإسلام وقيام دولته وقوة شوكة المسلمين، لذلك لم يظهر في مكة، وإنما نشأ في المدينة لأن الإسلام كان في مكة ضعيفًا، والضعيف لا ينافقه

(١) جامع البيان: ١٤/٤٤٠.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٨/٢٤١.
(٣) التحرير والتنوير: ٧/٣٦.
(٤) التحرير والتنوير: ١٠/١٩٣.

أحد، فلما أصبح الإسلام قويًا في المدينة ظهر المنافقون؛ لأنهم لا يتجرأون على المجاهرة بالعداوة لقوة الإسلام.

فأطلق لفظ المدينة هنا ليبين أن هناك اختلافًا واضحًا وظاهرًا بين أفراد المجتمع، منهم المؤمنون الصالحون، ومنهم المنافقون الذين يظهرون خلاف ما يكتمون.

في حين وردت في الكهف في قوله: ﴿**فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**﴾ الكهف ١٩.

والمقصود بالمدينة في الآية مدينة أفَسْوسُ[١]، ويقال كان اسمها أفسوس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام سموها طَرْطُوس[٢] وهي مدينة من أعمال طرابلس الشام، وفيها كثير من الآثار القديمة[٣]، وقيل: هي أَخْنُوس ويطلق عليها الآن طرطوس وهي غير طرطوس اللاذقية[٤].

فقد بعث الله الفتية – أصحاب الكهف – وقد سُلط على أهل مدينتهم ملك مسلم، وسلط على الفتية الجوع، فلما أيقظهم تساءلوا بينهم: "كم لبثتم؟ قالوا: لبثنا يومًا أو بعض يوم، فردوا علم ذلك إلى الله، قالوا: ربكم أعلم بما لبثتم فابعثوا أحدكم بورقكم هذه إلى المدينة، وإذا معهم ورق من ضرب الملك الذي كانوا في زمانه، ﴿**فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ**﴾، أي: بطعام، ولا يُشعرن بكم أحدًا، فخرج أحدهم فرأى المعالم متنكرة حتى انتهى إلى المدينة، فاستقبله الناس لا يعرف منهم أحدًا، وهم لا يعرفونه، حتى انتهى إلى صاحب الطعام، فسامه بطعامه، فقال صاحب الطعام: هات ورقك، فأخرج إليه الورق، فسأله مستنكرًا: من أين لك هذه الورق؟ قال: هذه ورقنا وورق أهل بلادنا، فقال: هيهات، هذه الورق من ضرب فلان بن فلان منذ ثلاثمائة وتسع سنين، أنت أصبت كنزًا، ولست بتاركك حتى أرفعك إلى الملك، فرفعه إلى الملك، وإذا الملك مسلم وأصحابه مسلمون، ففرح واستبشر، وأظهر لهم أمره،

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٠٤/٢، جامع البيان: ١٩٦/١٥، التحرير والتنوير: ٢٣/١٥، الكشاف: ٧١٣/٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن: ٣٧٥/١٠، فتح البيان في مقاصد القرآن: ٢٨/٨.
(٣) محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ٥٢٧/٤، عيسي البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦ه- ١٩٥٧م، التفسير المظهري: محمد ثناء الله المظهري، تحقيق: غلام بني تونسي، ص ٢٢٤٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٥ه- ٢٠٠٤م.
(٤) بيان المعاني: ملا حوش، ١٦٩/٤، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٨٢ه.

وأخبرهم خبر أصحابه، فبعثوا إلى اللوح في الخزانة، فأتوا به، فوافق ما وصف من أمرهم، فقال المشركون: نحن أحق بهم هؤلاء أبناء آبائنا[١].

وهذا دليل على أن المدينة كان يسكنها المسلمون والكافرون، ففيها أخلاط من الناس.

وما يدل على ذلك أيضًا في قوله: ﴿**فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا**﴾ أي: بأطهر؛ لأنهم كانوا يذبحون الخنازير[٢].

وقيل: أزكى طعامًا أي: أحل طعامًا، لأن بعض أهل تلك المدينة يذبحون للأصنام، وباسم الأوثان التي كانوا يعبدونها، فأمروه بأن يأتيهم بحلال يحل لهم أكله والتناول منه[٣].

وجاءت في سورة النمل في قوله تعالى: ﴿**وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾ النمل ٤٨.

فقد أجمع المفسرون على أن المقصود بالمدينة في هذه الآية: قرية صالح: الجمر، والتسعة رهط: من قوم صالح، وهم أيضاً الذين عقروا الناقة[٤].

والرهط: الجمع، وليس لهم واحد من لفظهم[٥]، وقد كان هؤلاء التسعة في مدينة صالح، وهي حجر ثمود، وكانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وكان إفسادهم في الأرض كفرهم بالله، ومعصيتهم إياه، وإنما خص الله هؤلاء التسعة الرهط بالخبر لأنهم كان يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وإن كان أهل الكفر كلهم في الأرض مفسدين، إلا أن هؤلاء التسعة هم الذين سعوا في عقر الناقة، وتعاونوا عليه، وتحالفوا على قتل صالح من بين قوم ثمود[٦].

---

(١) جامع البيان: ٢١٠/١٥.
(٢) تغليق التعليق على صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبد الرحمن، ٢٤٥/٤، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٥ه.
(٣) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي): محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، ١٢٥/٧، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط١، ١٤٢٦ه، ٢٠٠٥م.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٨٠/٢، تفسير ابن أبي حاتم: ٢٩٠٠/٩، جامع البيان: ٤٧٧/١٩.
(٥) معاني القرآن: أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق: هدي محمود قراعة، ٢١/٣، مكتبة الخانجي، ط١، ١٤١١ه- ١٩٩٠م.
(٦) جامع البيان: ٤٧٧/١٩، الجامع لأحكام القرآن: ٢١٥/٣.

وقد أخرج ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ**﴾ النمل ٤٥، قال: مؤمن وكافر، قولهم صالح من ربه، وقولهم ليس بمرسل(١).

فالقوم ما بين مصدق ومكذب، مصدق بالحق ونازل عنده، ومكذب بالحق تاركه، فلما اجتمع أهل الكفر وأهل الإيمان في بقعة واحدة معلومة أطلق الله عليهم لفظ المدينة.

ووردت في الأحزاب وأراد بها مدينة النبي ρ في قوله تعالى: ﴿**لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**﴾ الأحزاب ٦٠.

ويلحق بها الآية الكريمة في سورة المنافقون:﴿**يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**﴾ المنافقون ٨.

والمقصود بالمدينة في الآيتين: مدينة رسول الله، وقد عّدد الله في الآية الأولى أطياف المؤذين للنبي ، والمنافقين، والذين في قلوبهم مرض، والمُسِر الذي يظهر الحق ويضمر الباطل – المنافق –، والمرجف الكاذب الذي يؤذي النبي بإرجافه، ويقول: غلب محمد وسيخرج من المدينة وسيؤخذ(٢)، أما الثانية فقد قيلت في مناسبة عند العودة من غزوة بني المصطلق فقد ذُكر أن رجلين اقتتلا أحدهما من جهينة، والآخر من غفار، وكانت جهينة حلفاء الأنصار، وظهر الغفاري على الجهني، فقال عبد الله بن أبي للأوس: انصروا أخاكم، فوالله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال قائل "سمن كلبك يأكلك"، وقال: ﴿**لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**﴾، فسعي بها رجل من المسلمين إلى نبي الله، فأرسل له فسأله، فجعل يحلف بالله ما قاله، فأنزل الله ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ﴾ (٣).

ثم وردت في سورة القصص مرتين، الأولى: في قوله تعالى: ﴿**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ ...**﴾ القصص ١٥.

(١) تفسير ابن أبي حاتم: ٢٨٩٨/٩، جامع البيان: ٤٧٦/١٩. الدر المنثور: ٣٨٩/١١.
(٢) جامع البيان: ٣٧٢/٢٠، مفاتيح الغيب: ١٨٤/٢٥.
(٣) جامع البيان: ٣٦٤/١٤، مفاتيح الغيب: ٥٤٩/٣٠، الجامع لأحكام القرآن: ١٢٧/١٨، الكاشف: ٥٤١/٤.

والأخرى في قوله: ﴿**وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ**﴾ القصص ٢٠

والمدينة في الآيتين بقعة واحدة قيل: مدينة عين شمس، وقيل: مدينة منف[١]، وقيل الأسكندرية[٢].

وقيل: المدينة مصر[٣]، وقيل: منف، وهي أول مدينة بنيت بأرض مصر بعد الطوفان[٤].

وقال كبريت (ت ١٠٧٠هـ) هي مدينة فرعون موسى، وكان فيها أربعة أنهار تختلط مياهها في موضع سرير فرعون، ولذا قال: وهذه الأنهار تجري من تحتي[٥].

والجمهور على أنها مدينة مصر التي سكنها فرعون، وهي قرية على رأس فرسخين من مصر[٦].

قيل: إن فرعون قد ركب، فركب موسى في أثره، فأدركه بأرض يقال لها منف، فدخلها نصف النهار، وقد تغلقت أسواقها، فبينما موسى يمشي في ناحية المدينة، إذا هو برجلين يقتتلان، أحدهما فرعوني قبطي (وهو من عدوه)، والآخر إسرائيلي (من شيعته)[٧].

وقيل دخلها مستخفيًا من فرعون وقومه؛ لأنه كان قد خالفهم في دينهم وعاب ما كانوا عليه[٨].

فالمدينة مجتمع كبير به أجناس عدة، ونفوس وطباع مختلفة، منها المؤمن المصدق، وفيها المنافق المبغض والكافر المكذب، وفيهم الأنصار والمهاجرين، وأخلاط من العرب، فلما عبر عنها الله استخدم لفظ المدينة الدالة على الاتساع والاختلاف لا التشابه، والحضارة لا البداوة، والتعريف بـ (ال)

(١) تفسير القرآن: ١٢٧/٤.
(٢) البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، ٢٩٢/٨، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ه.
(٣) الكشاف: ٣٩٨/٣، مفتايح الغيب: ٥٨٤/٤.
(٤) معجم البلدان: ٢١٤/٥، تفسير ابن أبي حاتم: ٢٩٥٣/٩، جامع البيان: ٥٣٦/١٩، الجامع لأحكام القرآن: ١٥٩/١٣، الدر المنثور: ٤٣٦/١١.
(٣) رحلة الشتاء والصيف: محمد بن عبد الله (كبريت)، تحقيق: محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٣٨٥ه
(٤) مفتاح الغيب: ٥٨٤/٢٤، التفسير الوسيط: وهبة بن مصطفي الزحيلي، ١٩٠٧/٣، ط١، دار الفكر دمشق ط١، ١٤٢٢ه.
(٥) تفسير ابن أبي حاتم: ٣٩٥٣/٩، الدر المنثور: ٤٣٦/١١
(٨) جامع البيان: ٥٣٦/١٩.

في المدينة إنما هنا للغلبة التي هي في الأصل للعهد، ولكن مصحوبها لما غلب على إطلاقه على المدينة، صار الاسم علمًا عليها.

ومما سبق يتضح أن لفظ المدينة إذا أطلق دلّ على معان منها:

١) مصر فرعون وموسى كما في سورة الأعراف.
٢) مصر يوسف والعزيز كما في سورة يوسف.
٣) مدينة النبي كما في سورة التوبة والأحزاب والمنافقون.
٤) المكان المتسع الذي يسكنه أهل الترف والحضارة كما ورد في سورة الكهف والنمل، والقصص ويس.
٥) لفظ المدينة لفظ يوضح جليًا أن هناك سكان يختلفون في الطباع والعادات، ويتباينون كل التباين في شتى مناحي الحياة.

المبحث الثالث: آيات فيها القرية بمعنى المدينة والمدينة بمعني القرية:

جاءت القرية بمعني المدينة، والمدينة بمعني القرية في الذكر الحكيم ثلاث مرات: مرة في سورة الحجر في قصة لوط υ ومرة في سور الكهف، والثالثة في سورة يس.

وقد جاءت في سورة الحجر في قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ**﴾ الحجر ٦٧.

والمقصود بأهل المدينة هنا قوم لوط وهي معرفة بـ (ال) هنا عوضًا عن ضمير كأنها: أهل مدينته، وذلك أنهم لما سمعوا أن ضيفًا قد ضيّفه لوطًا، جاءوا مستبشرين بنزولهم مدينتهم طمعًا منهم في ركوب الفاحشة[١]، فقد كان يبشر بعضهم بعضًا بأضياف لوط.

وقد عبر عنها هنا بلفظ مدينة، في حين عبر عنها في سورة الأعراف والأنبياء والعنكبوت والفرقان جميعًا بلفظ القرية فقد عدل عن لفظ القرية مستخدمًا لفظ المدينة، وهذا يدل على أن القرية هنا كانت منقسمة فريقين: فريق مؤمن بلوط، وفريق مكذب معتدٍ فاعل للمنكرات، فلما كان الأمر كذلك وفيها الفريقان سميت مدينة، فلما قضى الله على هلاك الظالمين المجرمين وأمر الملائكة بإخراج مَن فيها

(١) جامع البيان: ١١٧/١٧.

من المؤمنين، وحق القول على المجرمين سماها قرية، كما ورد في سورة الذاريات في قوله: ﴿**قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ & قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ & لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ& مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ & فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ & فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ & وَتَرَكْنَا فِيهَا آَيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**﴾ الذاريات ٣١-٣٧.

ويقول الرازي (ت ٦٠٦هـ): "واعلم أن المراد بأهل المدينة قوم لوط، وليس في الآية دليل على المكان الذي جاءوه، إلا أن القصة تدل على أنهم جاءوا دار لوط، قيل: إن الملائكة لما كانوا في غاية الحسن اشتهر خبرهم حتى وصل إلى قوم لوط، وقيل: امرأة لوط أخبرتهم"[١].

وجاءت في سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿**وأَمَّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وكان تَحتْهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحَاً....**﴾ الكهف ٨٢

وقد عبر عنها سالفاً بلفظ القرية فقال تعالى: ﴿**فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ الكهف ٧٧.

وجاء في تفسير أبي السعود أن هذه المدينة هي القرية المذكورة فيما سبق، ولعل التعبير عنها بالمدينة لإظهار نوع اعتدادٍ بها باعتداد ما فيها من اليتيمين[٢].

وكأن الله اعتبر الولدين اليتيمين وأبيهما وكأنهما المدينة بأكملها؛ لصلاحهم.

وقد تكون المدينة غير القرية المذكورة، والألف واللام هنا للعهد، كأنما يقول له: المدينة التي مررنا بها[٣]، والغلامان ليسا في القرية فقد تركاها وهجراها وذهبا إلى المدينة، فهما ليسا في القرية، فيمكن أن يكونا عند من يربيهما ثم يعودان بعد ذلك إلى تلك القرية التي بها الجدار الذي يريد أن ينقض، ولكن الجدار قطعًا في القرية التي لا يُكرم فيها ضيفًا، ولا تعتني بيتيمين فيها، فخرج اليتيمان

(١) مفاتيح الغيب: ١٥٥/١٩.
(٢) إرشاد العقل السليم إلي مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): أبي السعود العمادي محمد بن محمد، ٢٨٠/٤، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
(٣) لمسات بيانية: فاضل السامرائي، الكتاب في موقع www.dawahmemo.com.

منها إلى مدينة مجاورة، فاليتيمان ليسا من سكان المدينة الأصليين، بل هما من سكان القرية وخرجوا منها.

ولعل المعنى أيضًا أن القرية هي المدينة ذاتها، ولكنه عدل عن لفظ القرية التي اشترك أهلها جميعًا في صفة البخل المادي، والبخل المعنوي فمنعوا الطعام، ولم يساعدوا الغلامين في إقامة الجدار، فكانوا جميعًا أصحاب صفة سيئة، فلما كان أبوهما صالحًا اعتبرهما الله أمة منفصلة عن تلك القرية الجاحدة الشحيحة، فاجتمع في المكان الصالح والطالح فعبر عنها بالمدينة.

ويرى القرطبي (ت ٦٧١هـ) أن القرية قد تسمى مدينة، ومنه الحديث: "أُمرت بقرية تأكل القرى" وفي حديث الهجرة "لمن أنت؟" فقال الرجل: من أهل المدينة ويعني: مكة[١].

ويلقى البقاعي (ت ٨٨٥هـ) بصيرته إلى السياق: وإلى مدلول مادة كل من الكلمتين فيقول في الأولى: "وقد عبر عنها بالقرية دون المدينة، لأنه أدل على الذم، لأن مادة قرأ تدور على الجمع الذي يلزمه الإمساك، ثم وصفها ليبين أن لها مدخلاً في لؤم أهلها بقوله تعالى: **اسْتَطْعَمَا** وأظهر ولم يضمر في قوله **أَهْلَهَا**، لأن الاستطعام لبعض من آتوه، وهذا هو الظاهر، لأنه هو الموافق للعادة"[٢]، ثم عقب بذكر المدينة التي هي بمعنى الإقامة، فقال: "والتعبير بالمدينة هنا أليق للإشارة إلى أن الناس يقيمون فيها، فينهدم الجدار وهم مقيمون، فيأخذون الكنز"[٣].

ثم يعقب على السياق القرآني في هذا مبينًا أن لفظ القرية لا ينافي التسمية بالمدينة، وأن التعبير الأول أليق لأنها مشتقة من معنى الجمع، فكان أليق بالذم في ترك الضيافة لإشعاره ببخلهم حالة الاجتماع، ومحبتهم للجمع والإمساك[٤].

أما ما ورد في سورة يس في قوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ**﴾ **يس ٢٠.**

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٣٨/١١.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرازق غالب مهدي، ٤٩٤/٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
(٣) المصدر السابق: ٤٩٤/٤.
(٤) المصدر السابق نفسه: ٤٩٨/٤.

وقد سبق هذه الآية ما وقع من مَثَل ضُرب بأَصْحَابَ الْقَرْيَةِ التي جاءها الْمُرْسَلُونَ، والمدينة في الآية الثانية هي القرية في الآية نفسها، وهي مدينة أنطاكية، وهذا الرجل الذي جاء يسعى من أقصى المدينة قيل هو: حبيب النجار[١] (*)، وقد سمع بهؤلاء النفر الذين أرسلهم عيسى بن مريم إلى أنطاكية، فجاءهم فقال: أتسألون أجرًا؟ قالوا: لا، فقال لقومه: يا قوم اتبعوا المرسلين، فرجموه بالحجارة، فجعل يقوم "رب اهد قومي"[٢] وكان هذا الرجل الصالح سقيمًا، قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصيًا، وكان مؤمنًا ذا صدقة[٣].

والمراد بالمدينة هنا القرية نفسها المذكورة في قوله ﴿**واضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ**﴾ يس ١٣، وقد عبر عنها هنا بالمدينة تفننًا، فيكون "أقصى" صفة لمحذوف هو المضاف في المعنى إلى المدينة، والتقدير: من بعيد المدينة، أي طرف المدينة، وفائدة ذكر أنه جاء من أقصى المدينة الإشارة إلى أن الإيمان بالله ظهر في أهل ربض المدينة قبل ظهوره في قلب المدينة؛ لأن قلب المدينة هي مسكن حكامها، وأحبار اليهود، وهم أبعد من الإنصاف والنظر في صحة ما يدعوهم إليهم الرسل، وعامة سكانها تبع لعظمائها؛ لتعلقهم بهم، وخشيتهم بأسهم بخلاف سكان أطراف المدينة، فهم أقرب إلى الاستقلال بالنظر، وقلة الاكتراث بالآخرين، لأن سكان الأطراف غالبهم أنفسهم لقربهم من البدو[٤].

فلما اتسعت القرية وكان لها أطراف سميت مدينة، ففي قصة أصحاب القرية، جدّ المرسلون في التبليغ حتى وصل البلاغ إلى أبعد نقطة في المدينة مع بُعدها، ولما جاء في قوله: "**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ**" دل هذا على أن الرجل جاء متحملاً مشقة البعد يحمل هم الدعوة والتبليغ، فقد وصله البلاغ وهو في أقصى نقطة في المدينة مع أنها متسعة، فعبر بالمدينة لأجل اتساع القرية وامتداد أطرافها، وأن هناك مَن آمن ولو كان رجلاً واحدًا جاء من أقصى المكان.

---

(١) تفسير عبد الرزاق بن همام: عبد الرزاق بن همام، ٧٨/٣، دار الكتب العلمية، ط١، د.ت، تفسير ابن أبي حاتم: ٣١٩٢/١٠، جامع البيان: ٥٠٤/٢٠.

(*) وحبيب النجار: مؤمن آل يس.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم: ٣١٩٢/١٠.

(٣) جامع البيان: ٥٠٤/٢٠.

(٤) التقريب لتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: ١٥١/١.

الخاتمة:

فالحمد لله صاحب المنة الذي هداني لكتابة هذا الموضوع الذي يتعلق بأشرف الكتب وأجلها وهو كتابه العزيز، وقد توصلت من خلاله إلى النتائج الآتية:

١) تتمايز القرية عن المدينة تمايزًا جليًا في عدة أمور أهمها:

أ) القرية مكان أصغر وأقل حجمًا وعددًا من المدينة، لذلك فكل مدينة قد يطلق عليها قرية، وليس كل قرية يقال عليها مدينة.

ب) القرية مكان يسكنه أناس يجتمعون جميعًا على شيء واحد، فهم يشتركون في الطباع، والعادات والتقاليد، وكذلك فإن حِرفهم متقاربة، بل تكاد تكون واحدة، خلافًا للمدينة التي يتميز أبناؤها بالانفرادية وتفكك الروابط بين كل من يعيشون فيها، واختلاف طباعهم وعاداتهم وطرقهم ومهنهم.

ج) لم تأخذ القرية بذلك الحظ الذي أخذت به المدينة من أسباب الحضارة والتطور والرفاهية.

٢) وردت كلمة قرية في القرآن الكريم باختلاف تصريفاتها من الإفراد والتثنية والجمع، والتعريف والتنكير سبعًا وخمسين مرة، أقل من نصفها معرف بـ "الـ"، وثلاثة مواضع معرفة بالإضافة، والباقي جاء بصيغة النكرة، وأكثر تكرارٍ لها كان في سورة الأعراف، إذ تكررت عشر مرات.

٣) جاءت بصيغة المفرد المعرف بـ "الـ" لتدل على عدة مدن معروفة ومحددة مثل:

أ) يطلق القرية ويريد بها "بيت المقدس" كما في سورة البقرة ٥٨، وفسرها ما جاء في المائدة ٢١.

ب) يطلق القرية ويريد بها "مكة المكرمة" كما في سورة النساء ٧٥، وإذا جمعها فقال: "القرى" نعتها بأنها "أم القرى" كما في سورة الأنعام ٩٢، والشورى ٧.

ج) وتارة يطلق القرية ويريد بها "سدوم" قرية لوط كما في سورة الأعراف ٨٠-٨٤.

د) وتارة يطلقها ويريد بها "قرية أيلة" وهي قرية أصحاب السبت كما في سورة الأعراف ١٦٣.

هـ) وتارة يذكرها ويريد بها "أنطاكية" وهي قرية من قرى الروم التي أرسل إليها المرسلون كما في سورة يس ١٣-١٥.

٤) جاءت مرة واحدة بصيغة المثنى المعرف بـ (الـ)"القريتين" وقصد بها مكة والمدينة.

٥) جل ما جاء بصيغة الجمع نكرة كان أم معرفة إنما جاء في معرض الذم للدلالة على ظلم تلك القرى، وطغيان أهلها، ومعظمها آيات عامة تدل على اتصاف أهل القرى بالكبر والعناد والظلم والفساد كما في سورة "الأعراف الآيات ٤-٩٤-٩٦-٩٧-٩٨-١٠١)، وكما جاء في سورة هود الآيات (١٠٠-١٠٢-١١٧)، وكما في سورة سبأ (آية ١٨) والأحقاف (آية٢٧) وغيرها.

٦) وقد جاءت القرية في القرآن للدلالة على معانٍ عدة منها:

أ) اجتماع أهل القرية جميعًا على موقف عقائدي واحد من تكذيب الرسل، ومعاداتهم لله، والكفر بما جاء به المرسلون كما في سورة النساء والأنعام والشورى ويس).

ب) وتارة تدل على اتفاق أهل القرية في صفة فاشية فيهم، سواء أكانت خِلقية أم خُلقية حتى أصبحت علمًا عليهم يعرفون بها كما في سورة (البقرة ونظيرتها في المائدة) من اتصافهم بضخامة الجسد حتى أطلق عليهم لفظ الجبارين، و كما في سورة الكهف واتفاقهم على صفة البخل والجحود وغلظة القلب.

ج) وتارة تدل على اتفاق المكان كله على رأي وموقف واحد حتى يتسع اللفظ ليشمل أهل القرية ومباني القرية وطرقها وكل ما تشتمل عليه كما في سورة يوسف (٨٢).

د) وتارة تدل على أن أهل هذه القرية ليسوا بأهلها الأصليين كما في سورة البقرة ٥٨.

هـ) وتارة يوردها لتدل على أهلها وليست على القرية ذاتها كما في سورة يوسف.

٧) أن الله دائمًا ما يرسل رسله إلى القرى لا إلى المدائن.

٨) جاءت لفظة المدينة في القرآن الكريم سبع عشرة مرة، أربع عشرة بصيغة المفرد، وثلاث بصيغة الجمع، وكلها معرفة بـ "الـ"، ولم تأت في أي موضع على حال النكرة، منها أربع

للمدينة المنورة، وثمان لمصر، وواحدة لأفسوس أو طرطوس، ومرة لمدينة أصحاب الكهف، والباقي جاء بمعني القرية.

وقد ردت لفظ المدينة في القرآن لتدل على معانٍ منها:

أ) أن أصحاب المدينة وأهلها هم أهل المكان الأصليين، كما في سورة الأعراف (الآية١١١) والتي جاءت فيها بصيغة الجمع.

ب) جاءت لتدل على مدينة (مصر) كما في سورة الأعراف (الآية ١٢٣)، وكما في سورة القصص (الآية ١٥) وهي مصر التي سكنها موسى أيضًا.

ج) وجاءت المدينة وأريد بها "المدينة المنورة" كما في سورة التوبة (الآية ١٠١)، والمنافقون (الآية ٨) وهي مدينة رسول الله.

د) وتارة يريد بها قرية صالح "حجر ثمود"، كما في سورة النمل (الآية ٤٨).

هـ) وفي بعض السور مثل سورة (الحجر ويس والكهف) يستخدم لفظ القرية بمعنى المدينة ليعبر عن ذات المكان؛ وذلك لأن المدينة يختلف أهلها عن القرية في كونهم فريقين: فريق مؤمن وآخر كافر أو منافق، لما كان أهل القرية كلهم يجتمعون على موقف واحد دعاهم وأطلق عليهم لفظ القرية، ولما انقسموا إلى أقسام وفرق، عَدل عن لفظ القرية واستخدم المدينة الدالة على التنوع والاختلاف.

المصادر والمراجع

١) آثار البلاد وأخبار العباد: زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر، د.ت.

٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): أبي السعود العمادي محمد بن محمد مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٣) البحر المحيط: محمد بن يوسف المعروف بأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٤) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي، ط١، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٥) بيان المعاني: ملاحويش، مطبعة الترقي، دمشق، ١٣٨٢هـ.

٦) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.

٧) تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي): محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٨) التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٩) تغليق التعليق على صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، تحقيق: سعيد عبد الرحمن، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٠) تفسير ابن أبي حاتم: أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا، د.ت.

١١) تفسير السعدي: عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٢) تفسير القرآن العظيم: أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم عباس، دار الوطن، الرياض، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٣) التفسير المظهري: محمد ثناء الله المظهري، تحقيق: غلام بن تونس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٤) تفسير المنار: محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط١، ١٩٩٠م.
١٥) التفسير الوسيط: وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٢هـ.
١٦) تفسير عبد الرزاق بن همام: عبد الرزاق بن همام، دار الكتب العلمية، ط١، د.ت.
١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: مقاتل بن سليمان بن بشير، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
١٨) التقريب لتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور: محمد بن إبراهيم الحمد الزلفي، جامعة القصيم، كلية الشريعة وأصول الدين، ١٤٢٩هـ.
١٩) جامع البيان في تأويل آي القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٢٠) الجامع لأحكام القرآن: أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢١) الدر المنثور: جلال الدين السيوطي، مركز هجر البحوث، مصر، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٢٢) رحلة الشتاء والصيف: محمد بن عبدالله (كبريت)، تحقيق: محمد سعيد الطنطاوي، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت، ط٢، ١٣٨٥هـ.
٢٣) سنن الترمذي: محمد بن عيسى الترمذي: تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.
٢٤) السنن الكبرى: أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الغفار سليمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٢٥) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: أبي العباس أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٢٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: نظام الدين القمي النيسابوري، تحقيق: زكريا عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
٢٧) فتح البيان في مقاصد القرآن: أبي الطيب محمد صديق خان، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٨) كتاب العين: أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخرومي، وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

٢٩) الكتاب: أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، دار صادر، بيروت، ط١، د.ت.

٣٠) الكشاف مذيلاً بحاشية ابن المنير: أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٣١) الكشف والبيان في تفسير القرآن: أحمد بن إبراهيم الثعلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٢) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن): علاء الدين أبي الحسن، تحقيق: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٣) لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٣٤) محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ - ٢٠٠٠م.

٣٥) المحكم والمحيط الأعظم: أبي الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: عبد الرحمن هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٣٦) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٣٧) المستدرك على الصحيحين: الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، ط١١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٣٨) المسند: أحمد بن حنبل، تحقيق: السيد أبو المعاطي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٣٩) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، ط١، د.ت.

٤٠) معالم التنزيل: أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة للتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤١) معاني القرآن: أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤٢) معاني القرآن: أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، د.ت.

٤٣) معجم البلدان: شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي الرومي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٤٤) معجم اللغة العربية المعاصر: أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ.

٤٥) المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات وآخرون، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، د.ت.

٤٦) مفاتيح الغيب: محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ت.

٤٧) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب مهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٤٨) النكت والعيون (تفسير الماوردي): أبي الحسن علي بن محمد الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

الدوريات والمجلات العلمية:

١) مجلة الجامعة العربية الأمريكية للبحوث، مجلد٢، العدد (٢) ٢٠١٦م.

مواقع الشبكة العنكبوتية:

١) **عجائب القرآن الكريم: زياد السلوادي، المكتبة الوقفية، الشبكة العنكبوتية.**

٢) **لمسات بيانية: فاضل السامرائي** www.dawahmemo.com